بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ فِي الفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ

الفَصَاحَةُ

فِي اللُّغَةِ: هِيَ البَيَانُ وَالظُّهُورُ؛ يُقَالُ: "أَفْصَحَ الصُّبْحُ" إِذَا ظَهَرَ ضِيَاؤُهُ.

فِي الِاصْطِلَاحِ: سَلَامَةُ اللَّفْظِ مِنْ عُيُوبٍ تَجْعَلُهُ إِمَّا ثَقِيلًا عَلَى اللِّسَانِ، أَوْ خَفِيَّ المَعْنَى، أَوْ مُخَالِفًا لِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ.

تَقَعُ الفَصَاحَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

1. الْكَلِمَةِ
2. الْكَلَامِ
3. الْمُتَكَلِّمِ

وَلِكُلِّ قِسْمٍ شُرُوطٌ نَذْكُرُهَا فِي مَا يَلِي.

فَصَاحَةُ الكَلِمَةِ

تَقَعُ الكَلِمَةُ فَصِيحَةً إِذَا سَلِمَتْ مِنْ ثَلَاثَةِ عُيُوبٍ:

1. تَنَافُرُ الحُرُوفِ:

وَهُوَ ثِقْلٌ فِي الكَلِمَةِ يَجْعَلُ النُّطْقَ بِهَا عَسِيرًا عَلَى اللِّسَانِ، كَلَفْظِ "مُسْتَشْزِرَاتٌ" وَ"الْخَشْفَطُونُسُ".

2. مُخَالَفَةُ القِيَاسِ الصَّرْفِيِّ:

وَهُوَ صَوْغُ الكَلِمَةِ عَلَى خِلَافِ قَوَاعِدِ الصَّرْفِ المَعْرُوفَةِ؛ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

(أَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الأَجْلَلْ)

حَيْثُ فَكَّ الإِدْغَامَ فِي "الأَجْلَلْ" وَالقَاعِدَةُ الصَّرْفِيَّةُ تُوجِبُ الإِدْغَامَ فَنَقُولُ: (الأَجَلّ).

3. الغَرَابَةُ: وَهِيَ أَنْ تَكُونَ الكَلِمَةُ غَيْرَ مَأْنُوسَةِ الِاسْتِعْمَالِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أ. غَرَابَةٌ لَفْظِيَّةٌ بِأَنْ يَكُونَ المَعْنَى مَخْفِيًّا، مِثْلُ قَوْلِ النَّحْوِيِّ عِيسَى بْنِ عُمَرَ حِينَ سَقَطَ عَنْ حِمَارِهِ: "مَا لَكُمْ تَكَاكَأْتُمْ عَلَيَّ... إِفْرَنْقِعُوا عَنِّي!"؛ فَـ "تَكَاكَأْتُمْ" تَعْنِي اجْتَمَعْتُمْ، وَ"إِفْرَنْقِعُوا" تَعْنِي انْصَرِفُوا، وَهِيَ أَلْفَاظٌ غَرِيبَةٌ غَيْرُ مُتَدَاوَلَةٍ.

ب. غَرَابَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ بِأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مَعْرُوفًا، لَكِنَّ اسْتِعْمَالَهُ فِي المَعْنَى المُرَادِ بَعِيدٌ وَمُحَيِّرٌ؛ كَقَوْلِ ابْنِ العَجَّاجِ فِي وَصْفِ أَنْفِ مَحْبُوبَتِهِ: "وَمُرْسَنًا مُسَرَّجًا"، فَوَجْهُ الشَّبَهِ فِي كَلِمَةِ "مُسَرَّج" خَفِيٌّ، هَلْ قَصَدَ إِضَاءَةَ "السِّرَاجِ" أَمْ دِقَّةَ "السَّيْفِ السُّرَيْجِيِّ"؟

فَصَاحَةُ الكَلَامِ

وَهِيَ سَلَامَةُ الجُمْلَةِ مِنْ عُيُوبٍ تُرْبِكُ تَرْكِيبَهَا، مَعَ شَرْطِ فَصَاحَةِ كَلِمَاتِهَا المُفْرَدَةِ، وَهَذِهِ العُيُوبُ هِيَ:

- ضَعْفُ التَّأْلِيفِ:

وَهُوَ تَرْكِيبُ الجُمْلَةِ عَلَى خِلَافِ قَوَاعِدِ النَّحْوِ المَشْهُورَةِ، مِثْلُ: ضَرَبَ أَبُوهُ زَيْدًا، حَيْثُ يَعُودُ الضَّمِيرُ فِي "أَبُوهُ" عَلَى "زَيْدًا" وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ فِي اللَّفْظِ وَالرُّتْبَةِ لِوُقُوْعِه مَفْعُولًا بِهِ، وَهَذَا خِلَافُ القَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ.

- تَنَافُرُ الكَلِمَاتِ:

وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الكَلِمَاتُ سَهْلَةً حِينَ نَنْطِقُ بِهَا مُفْرَدَةً، لَكِنَّ اجْتِمَاعَهَا فِي الجُمْلَةِ يُحْدِثُ ثِقْلًا عَلَى اللِّسَانِ، وَهُوَ نَوْعَانِ:

- تَنَافُرٌ شَدِيدٌ: مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ: (وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ)، فَتَقَارُبُ مَخَارِجِ الحُرُوفِ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي جَعَلَ الكَلَمَ ثَقِيلًا وَمُسْتَهْجَنًا.
- تَنَافُرٌ خَفِيفٌ: وَهُوَ ثِقْلٌ يَسِيرٌ لَا يَمْنَعُ الفَهْمَ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى

مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

فَتِكْرَارُ "أَمْدَحُهُ" يُحْدِثُ ثِقْلًا بَسِيطًا لِتَوَالِي حُرُوفِ الحَلْقِ.

- التَّعْقِيدُ: وَهُوَ أَلَّا يَكُونَ الكَلَامُ وَاضِحَ الدَّلَالَةِ عَلَى المَعْنَى المَقْصُودِ، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ:
  - تَعْقِيدٌ لَفْظِيٌّ: وَهُوَ يَنْشَأُ مِنْ خَلَلٍ فِي تَرْتِيبِ أَلْفَاظِ الجُمْلَةِ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ أَوْ الفَصْلِ؛ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: مَا قَرَأَ إِلَّا وَاحِدًا مُحَمَّدٌ مَعَ كِتَابًا أَخِيهِ، وَالصَّوَابُ تَرْكِيبًا: "مَا قَرَأَ مُحَمَّدٌ مَعَ أَخِيهِ إِلَّا كِتَابًا وَاحِدًا".
  - تَعْقِيدٌ مَعْنَوِيٌّ: وَهُوَ يَنْشَأُ مِنِ اسْتِعْمَالِ مَجَازَاتٍ وَكِنَايَاتٍ بَعِيدَةٍ وَغَيْرِ مَأْلُوفَةٍ؛ مِثْلُ: نَشَرَ الحَاكِمُ أَلْسِنَتَهُ فِي المَدِينَةِ مُرِيدِينَ "جَوَاسِيسَهُ"، وَالعَرَبُ تُكَنِّي عَنِ الجَاسُوسِ بِـ "العَيْنِ" لَا "اللِّسَانِ"، فَكَانَ الصَّوَابُ أَنْ يَقُولَ: نَشَرَ عُيُونَهُ.

فَصَاحَةُ المُتَكَلِّمِ

هِيَ مَوْهِبَةٌ وَقُدْرَةٌ رَاسِخَةٌ فِي النَّفْسِ، يَقْتَدِرُ بِهَا الشَّخْصُ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنْ مَقَاصِدِهِ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ فِي شَتَّى المَنَاسِبَاتِ.

البَلَاغَةُ

فِي اللُّغَةِ: الوُصُولُ وَالانْتِهَاءُ؛ يُقَالُ: "بَلَغَ المُسَافِرُ غَايَتَهُ" إِذَا وَصَلَ إِلَيْهَا.

وَفِي الِاصْطِلَاحِ: هِيَ مُطَابَقَةُ الكَلَامِ الفَصِيحِ لِـ"مُقْتَضَى الحَالِ".

مُقْتَضَى الحَالِ:

هُوَ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ مُرَاعِيًا لِظُرُوفِ المَوْقِفِ وَحَالِ المُسْتَمِعِ؛ فَالذَّكِيُّ يُنَاسِبُهُ الإِيجَازُ، وَالمُنْكِرُ لِلْكَلَامِ يُنَاسِبُهُ التَّوْكِيدُ، وَمَقَامُ الوَعْظِ وَالمَدْحِ يُنَاسِبُهُ الإِطْنَابُ (التَّفْصِيلُ).

والبَلَاغَةُ تَقَعُ فِي الْكَلَامِ وَلِلْمُتَكَلِّمِ فَقَطْ دُونَ الكَلِمَةِ.

بَلَاغَةُ الكَلَامِ

وَهِيَ أَنْ تَكُونَ الجُمْلَةُ صَحِيحَةً فَصِيحَةً فِي نَفْسِهَا، وَمُنَاسِبَةً لِلْمَقَامِ الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ مُرَاعَاةً لِعَقْلِيَّةِ المُخَاطَبِ وَظُرُوفِهِ.

بَلَاغَةُ المُتَكَلِّمِ

هِيَ مَلَكَةٌ نَفْسِيَّةٌ يَتَمَكَّنُ بِهَا المَرْءُ مِنْ صِيَاغَةِ كَلَامٍ بَلِيغٍ مُطَابِقٍ لِمُقْتَضَى الحَالِ فِي أَيِّ غَرَضٍ يُرِيدُهُ.

الفَرْقُ بَيْنَ الفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ

يَتَلَخَّصُ الفَرْقُ بَيْنَ الفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ فِي نُقْطَتَيْنِ:

1. الفَصَاحَةُ تَقَعُ فِي الْكَلِمَةِ، وَالكَلَامِ وَالشَّخْصِ. أَمَّا البَلَاغَةُ فَلَا تَكُونُ لِفِي الكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ أَبَدًا، بَلْ تَخْتَصُّ بِالْجُمْلَةِ وَالمُتَكَلِّمِ.

2. كُلُّ كَلَامٍ بَلِيغٍ فَصِيحٌ، وَلَيْسَ كُلُّ كَلَامٍ فَصِيحٍ بَلِيغًا. فَالْفَصَاحَةُ جُزْءٌ مِنَ البَلَاغَةِ وَشَرْطٌ لَهَا، فَقَدْ يَكُونُ الكَلَامُ فَصِيحًا وَسَهْلًا، لَكِنَّهُ قِيلَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ المُنَاسِبِ، فَيَفْقِدُ وَصْفَ البَلَاغَةِ.

الفَنُّ الأَوَّلُ عِلْمُ المَعَانِي

إِنَّ الغَرَضَ الأَسَاسِيَّ مِنْ دِرَاسَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ هُوَ التَّعْبِيرُ عَمَّا فِي النَّفْسِ مِنْ أَفْكَارٍ وَمَعَانٍ بِأُسْلُوبٍ صَحِيحٍ وَمُؤَثِّرٍ. وَإِذَا كَانَ عِلْمُ الصَّرْفِ يَحْمِي الكَلِمَةَ المُفْرَدَةَ مِنَ الخَطَأِ فِي صِيَاغَتِهَا وَبِنْيَتِهَا الدَّاخِلِيَّةِ، وَعِلْمُ النَّحْوِ يَحْمِي اللِّسَانَ مِنَ الخَطَأِ فِي تَرْكِيبِ الجُمَلِ وَأَوَاخِرِ الكَلِمَاتِ، فَإِنَّ عِلْمَ البَلَاغَةِ هُوَ الَّذِي يَمْنَحُ ذَلِكَ الكَلَامَ بَهَاءً وَجَمَالًا، وَيَجْعَلُهُ مُؤَثِّرًا فِي نُفُوسِ السَّامِعِينَ، وَمُنَاسِبًا لِلْمَوْقِفِ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ.

وَلِكَيْ نَحِيطَ بِهَذَا العِلْمِ الجَلِيلِ، قَسَّمَهُ عُلَمَاءُ الأَدَبِ وَالبَلَاغَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ عُلُومٍ، لِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهَا وَظِيفَةٌ مُحَدَّدَةٌ، وَهِيَ:

1. عِلْمُ المَعَانِي: وَهُوَ العِلْمُ الَّذِي يَهْتَمُّ بِبِنَاءِ الجُمْلَةِ وَتَرْتِيبِ كَلِمَاتِهَا؛ لِتَكُونَ مُطَابِقَةً لِمُقْتَضَى الحَالِ.
2. عِلْمُ البَيَانِ: وَهُوَ العِلْمُ الَّذِي يَبْحَثُ فِي الطُّرُقِ المُخْتَلِفَةِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ المَعْنَى الوَاحِدِ، بِأَسَالِيبَ تَخْتَلِفُ فِي وُضُوحِهَا التَّعْبِيرِيِّ.
3. عِلْمُ البَدِيعِ: وَهُوَ العِلْمُ الَّذِي يَهْتَمُّ بِتَزْيِينِ الكَلَامِ وَتَحْسِينِ لَفْظِهِ أَوْ مَعْنَاهُ بَعْدَ صِحَّتِهِ وَبَلَاغَتِهِ؛ لِيَكُونَ حُلْوًا فِي السَّمْعِ وَمُشَوِّقًا فِي النَّفْسِ.

تَعْرِيفُ عِلْمِ المَعَانِي:

هُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ أَحْوَالِ اللَّفْظِ العَرَبِيِّ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا مُطَابَقَتُهُ لِمُقْتَضَى الحَالِ.

يَنْتَظِمُ هَذَا العِلْمُ فِي ثَمَانِيَةِ مَبَاحِثَ:

الخَبَرُ وَالإِنْشَاءُ	الذِّكْرُ وَالحَذْفُ
التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ	التَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ
الإِطْلَاقُ وَالتَّقْيِيدُ	القَصْرُ
الوَصْلُ وَالفَصْلُ	الإِيجَازُ وَالإِطْنَابُ وَالمُسَاوَاةُ

البَابُ الأَوَّلُ: الخَبَرُ وَالإِنْشَاءُ

يَنْقَسِمُ كَلَامُ العَرَبِ بِاعْتِبَارِ قَصْدِ القَائِلِ إِلَى ضَرْبَيْنِ:

الجُمْلَةُ الخَبَرِيَّةُ:

هِيَ مَا نُطِقَ بِهِ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِهِ: إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ.

- مِثْلُ: "شَرِبَ الرَّجُلُ مَاءً"، وَ"نَامَ الطِّفْلُ".

الجُمْلَةُ الإِنْشَائِيَّةُ:

هِيَ مَا لَا يُوصَفُ بِصِدْقٍ وَلَا كَذِبٍ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ المَعْنَى تُوجَدُ بِوُجُودِ اللَّفْظِ نَفْسِهِ.

- مِثْلُ: "اكْتُبْ بِالقَلَمِ"، وَ"لَا تَضْرِبِ الطِّفْلَ".

المُسْنَدُ وَالمُسْنَدُ إِلَيْهِ:

المُسْنَدُ: هُوَ الوَصْفُ أَوِ الفِعْلُ المَحْكُومُ بِهِ.

المُسْنَدُ إِلَيْهِ: هُوَ الذَّاتُ أَوِ الِاسْمُ المَحْكُومُ عَلَيْهِ.

كَمَا فِي قَوْلِكَ: "أَكَلَ خَالِدٌ"؛ فَـ"الأَكْلُ" حُكْمٌ فَهُوَ مُسْنَدٌ، وَ"خَالِدٌ" مَحْكُومٌ عَلَيْهِ فَهُوَ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ.

أَقْسَامُ الجُمْلَةِ الخَبَرِيَّةِ:

تَتَنَوَّعُ الجُمْلَةُ بِحَسَبِ مَا تُصَدَّرُ بِهِ إِلَى نَوْعَيْنِ:

1. الجُمْلَةُ الِاسْمِيَّةُ: هِيَ الَّتِي تَبْتَدِئُ بِالِاسْمِ، وَمُقْتَضَاهَا بَيَانُ الدَّوَامِ وَالثُّبُوتِ.
   - مِثْلُ: "اللهُ أَحَدٌ"، وَ"العِلْمُ نَافِعٌ"؛ أَيْ نَفْعُهُ صِفَةٌ لَازِمَةٌ مُسْتَقِرَّةٌ.
2. الجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ: هِيَ الَّتِي تَبْتَدِئُ بِالفِعْلِ، وَتُفِيدُ تَعَاقُبَ الحُدُوثِ وَالتَّجَدُّدَ.
   - مِثْلُ: "جَاءَ رَجُلٌ"، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ الفِعْلَ يَقَعُ حِينًا بَعْدَ حِينٍ.

أَغْرَاضُ الخَبَرِ:

يُقْصَدُ بِالخَبَرِ فِي أَصْلِ الوَضْعِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ:

1. فَائِدَةُ الخَبَرِ: حِينَ تَنْقُلُ إِلَى السَّامِعِ نَبَأً يَجْهَلُهُ، كَقَوْلِكَ: "جَاءَ زَيْدٌ" لِمَنْ لَا يَعْرِفُ قُدُومَهُ.
2. لَازِمُ الفَائِدَةِ: حِينَ تُرِيدُ إِعْلَامَ السَّامِعِ بِأَنَّكَ عَالِمٌ بِمَا فَعَلَ، كَقَوْلِكَ: "أَكَلْتَ الطَّعَامَ" لِمَنْ تُرِيدُ إِعْلَامَهُ بِعِلْمِكَ بِالفِعْلِ.

قَدْ تَنْحَرِفُ الدَّلَالَةُ عَنْ أَصْلِهَا لِتُؤَدِّيَ مَعَانِيَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهَا بِسِيَاقِ الكَلَامِ، مِنْهَا:

- الِاسْتِرْحَامُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.
- إِظْهَارُ العَجْزِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي﴾.
- التَّحَسُّرُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾.

أَضْرُبُ الخَبَرِ:

يَتَشَكَّلُ الخَبَرُ تَبَعًا لِحَالِ المُخَاطَبِ فِي ثَلَاثَةِ أَنْسَاقٍ:

1. الخَبَرُ الِابْتِدَائِيُّ: يُلْقَى لِخَالِي الذِّهْنِ بِلَا تَوْكِيدٍ، كَقَوْلِكَ: "نَاصِرٌ نَائِمٌ".
2. الخَبَرُ الطَّلَبِيُّ: يُلْقَى لِلشَّاكِّ بِمُؤَكِّدٍ وَاحِدٍ، كَقَوْلِكَ: "إِنَّ نَاصِرًا نَائِمٌ".
3. الخَبَرُ الإِنْكَارِيُّ: يُلْقَى لِلْمُنْكِرِ بِمُؤَكِّدَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، كَقَوْلِكَ: "إِنَّ نَاصِرًا لَنَائِمٌ".

أَقْسَامُ الإِنْشَاءِ:

يَنْشَطِرُ الإِنْشَاءُ إِلَى نَوْعَيْنِ:

1. الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ: هُوَ مَا يَقْتَضِي حُصُولَ مَطْلُوبٍ لَمْ يَكُنْ مُتَحَقِّقًا، وَهُوَ عُمْدَةُ هَذَا الفَنِّ. وَهُوَ عَلَى خَمْسَةِ صُوَرٍ:
   a. الأَمْرُ: طَلَبُ الفِعْلِ عَلَى جِهَةِ الِاسْتِعْلَاءِ، مِثْلُ: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ).
   b. النَّهْيُ: طَلَبُ الكَفِّ عَلَى جِهَةِ الِاسْتِعْلَاءِ، مِثْلُ: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى).
   c. الِاسْتِفْهَامُ: طَلَبُ العِلْمِ بِمَجْهُولٍ، مِثْلُ: "هَلْ أَكَلَ زَيْدٌ؟".
   d. التَّمَنِّي: طَلَبُ المَحْبُوبِ المُمْتَنِعِ، مِثْلُ: "لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ".
   e. النِّدَاءُ: طَلَبُ الإِقْبَالِ بِأَدَاةٍ نَابَتْ عَنْ "أَدْعُو"، مِثْلُ: (يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ).
2. الإِنْشَاءُ غَيْرُ الطَّلَبِيِّ: مِثْلُ القَسَمِ وَالتَّعَجُّبِ، وَقَلَّمَا تَعْرِضُ لَهُ البَلَاغَةُ بِالدَّرْسِ.

البَابُ الثَّانِي: الذِّكْرُ وَالحَذْفُ

الذِّكْرُ: ذِكْرُ اللَّفْظِ فِي مَقَامِهِ لِيَكُونَ دَلِيلًا جَلِيًّا عَلَى المُرَادِ.

الحَذْفُ: إِسْقَاطُ اللَّفْظِ لِلِاخْتِصَارِ حِينَ تَقُومُ القَرَائِنُ مَقَامَهُ.

دَوَاعِي ذِكْرِ اللَّفْظِ:

1. تَثْبِيتُ المَعْنَى وَتَقْرِيرُهُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)؛ أُعِيدُ اسْمُ الإِشَارَةِ بَيَانًا لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ.

2. خَشْيَةُ خَفَاءِ القَرِينَةِ: نَحْوُ: "زَيْدٌ نِعْمَ الصَّدِيقُ"؛ إِذَا خَشِيَ اللَّبْسَ.
3. تَسْفِيهُ ذِهْنِ السَّامِعِ: حِينَ تُكَرِّرُ لَهُ اللَّفْظَ تَعْرِيضًا بِقُصُورِ فَهْمِهِ.

دَوَاعِي حَذْفِ اللَّفْظِ:

1. كِتْمَانُ الأَمْرِ: كَقَوْلِكَ: "جَاءَ"؛ لِتُقْصِرَ المَعْرِفَةَ عَلَى السَّامِعِ دُونَ غَيْرِهِ.
2. ضِيقُ المَقَامِ وَتَوَجُّعُ القَلْبِ: كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ ... سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

أَيْ: "أَنَا عَلِيلٌ"، حُذِفَ الضَّمِيرُ لِبَيَانِ تَوَجُّعِ القَلْبِ.

وَمِثْلُهُ نِدَاءُ الصَّيَّادِ: "غَزَالٌ!"؛ حَذَرًا مِنْ فَوَاتِ الفُرْصَةِ.

3. عُمُومُ الفَائِدَةِ مَعَ الإِيجَازِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ أَيْ وَاللَّهُ يَدْعُو جَمِيعَ النَّاسِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ؛ فَالْحَذْفُ هُنَا دَلَالَةٌ عَلَى شُمُولِ الدَّعْوَةِ لِلْجَمِيعِ.

البَابُ الثَّالِثُ: التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ

وَلَمَّا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَنْطِقَ الإِنْسَانُ بِكَلَامِهِ دُفْعَةً وَاحِدَةً احْتَاجَ إِلَى تَرْتِيبِ الكَلِمِ تِبَاعًا، ثُمَّ تَقْدِيمُ لَفْظٍ عَنْ مَرْتَبَتِهِ الأَصْلِيَّةِ يَسْتَنِدُ إِلَى نُكَتٍ بَلَاغِيَّةٍ، مِنْهَا:

1. القَصْرُ وَالِاخْتِصَاصُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ فَتَقْدِيمُ المَفْعُولِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُصْرَفُ لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ.

2. مُرَاعَاةُ الفَاصِلَةِ وَالنَّظْمِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ)؛ تَوَافُقًا مَعَ رُؤُوسِ الآيِ الَّتِيْ سَبَقَهَا: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}.

البَابُ الرَّابِعُ: التَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ

يُؤْتَى بِكُلٍّ مِنَ المَعْرِفَةِ وَالنَّكِرَةِ لِأَغْرَاضٍ بَلَاغِيَّةٍ، مِنْهَا:

أَغْرَاضُ التَّعْرِيفِ بِالمَعَارِفِ:

1. الضَّمِيرُ:
   - وَيُرَادُ بِهِ الْإِيجَازُ، نَحْوُ: "هُوَ ضَرَبَنِي".
2. العَلَمُ:
   - وَيُرَادُ بِهِ تَشْخِيصُ المُسَمَّى فِي الذِّهْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ).
3. اسْمُ الإِشَارَةِ:
   - وَيُرَادُ بِهِ التَّعْيِينُ أَوِ التَّعْظِيمُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا}.
   - وَقَدْ يُرَادُ بِهِ التَّحْقِيرُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ}.
4. المَوْصُولُ:
   - وَيُرَادُ بِهِ بَيَانُ العِلَّةِ نَحْوُ: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ)؛ فَدَلَّ اسْمُ المَوْصُولِ عَلَى عِلَّةِ دُخُولِ جَهَنَّمَ وَهِيَ الاسْتِكْبَارُ.
5. المُعَرَّفُ بِـ(أَلْ):

- وَيُرَادُ بِهِ الْجِنْسُ، نَحْوُ: "الإِنْسَانُ نَاطِقٌ".
- وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الْعَهْدُ، نَحْوُ: (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) أَيْ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مَعْهُوْدٌ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ.

6. المُضَافُ:
   - وَيُرَادُ بِهِ تَعْرِيفُ النَّكِرَةِ بِأَيْسَرِ لَفْظٍ كَـ"نَاقَةُ اللهِ".
7. المُنَادَى:
   - وَيُرَادُ بِهِ الإِحْضَارُ، نَحْوُ: "يَا رَجُلُ".

أَغْرَاضُ التَّنْكِيرِ:

- عَدَمُ القَصْدِ: نَحْوُ: "جَاءَ رَجُلٌ".
- التَّكْثِيرُ: نَحْوُ: "لِفُلَانٍ مَالٌ"؛ أَيْ وَافِرٌ.
- التَّعْظِيمُ مَعَ التَّقْلِيلِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ)؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ يَسِيرَ رِضَاهُ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

البَابُ الخَامِسُ: الإِطْلَاقُ وَالتَّقْيِيدُ

الإِطْلَاقُ هُوَ ذِكْرُ المُسْنَدِ وَالمُسْنَدِ إِلَيْهِ خَالِيَيْنِ مِنْ أَيِّ زِيَادَةٍ، نَحْوُ: "أَكَلْتُ".

التَّقْيِيدُ هُوَ إِلْحَاقُ الجُمْلَةِ بِمُكَمِّلَاتٍ لِتَخْصِيصِ الفِعْلِ بِمَفْعُولٍ أَوْ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ، نَحْوُ: "أَكَلْتُ الخُبْزَ يَوْمَ الجُمُعَةِ".

أَدَوَاتُ التَّقْيِيدِ:

1. المَفَاعِيلُ:
   - وَهِيَ لِبَيَانِ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الفِعْلُ، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرٰهِيمَ خَلِيلًا}.
   - أَوْ لِبَيَانِ زَمَانِ وُقُوْعِه، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى: {وَجَاؤُوْا أَبَاهُمْ عِشَاءً}.
   - أَوْ لِبَيَانِ مَكَانِ وُقُوْعِه، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا}.
   - أَوْ لِبَيَانِ هَيْئَةِ وُقُوْعِه، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}.
   - أَوْ لِبَيَانِ عِلَّتِه وَسَبَبِه، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى: {يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}.
2. الشَّرْطُ:
   - وَهُوَ لِتَعْلِيقِ الخَبَرِ بِوُقُوعِ غَيْرِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَوْ شَاءَ لَهَدٰكُمْ).
3. النَّفْيُ:
   - وَهُوَ لِسَلْبِ نِسْبَةِ الفِعْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ).

البَابُ السَّادِسُ: القَصْرُ

القَصْرُ لُغَةً: الحَبْسُ.

وَاصْطِلَاحًا هُوَ تَخْصِيصُ مَوْصُوفٍ بِصِفَةٍ أَوْ صِفَةٍ بِمَوْصُوفٍ بِوَاسِطَةِ أَدَاةٍ مَخْصُوصَةٍ كَالاسْتِثْنَاءِ.

أَنْوَاعُ القَصْرِ:

1. القَصْرُ الحَقِيقِيُّ:
   a. هُوَ مَا كَانَ التَّخْصِيصُ فِيهِ ثَابِتًا فِي الوَاقِعِ، مِثْلُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ".
2. القَصْرُ الإِضَافِيُّ:
   a. هُوَ مَا كَانَ التَّخْصِيصُ فِيهِ بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِ، مِثْلُ: "مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمًا"؛ أَيْ لَا قَاعِدٌ.

البَابُ السَّابِعُ: الوَصْلُ وَالفَصْلُ

الوَصْلُ: عَطْفُ الجُمَلِ بِحَرْفِ "الوَاوِ".

الفَصْلُ: تَرْكُ العَطْفِ لِنُكْتَةٍ بَلَاغِيَّةٍ.

مَوَاضِعُ الوَصْلِ:

1. تَوَافُقُ الجُمَلِ خَبَرًا وَإِنْشَاءً، كَمَا فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.
2. تَجَنُّبُ الإِيهَامِ وَدَفْعُ اللَّبْسِ: مِثْلُ قَوْلِكَ: "لَا، وَشَفَاهُ اللَّهُ" فِي جَوَابِ مَنْ سَأَلَ: هَلْ بَرِئَ الوَلَدُ مِنَ المَرَضِ؛ صِيَانَةً لِلْمَعْنَى عَنِ القُبْحِ النَّاشِئِ عَنِ الفَصْلِ، إِذْ لَوْ فُصِلَتِ العِبَارَةُ وَقُلْتَ: لَا شَفَاهُ اللهُ، لَبَدَتْ كَالدُّعَاءِ عَلَيْهِ وَهُوَ تَمَامُ خِلَافِ مَا يَقْصِدُهُ المُتَكَلِّمُ.

مَوَاضِعُ الفَصْلِ:

1. كَمَالُ الِاتِّصَالِ:
   a. وَذَلِكَ عِنْدَ التَّأْكِيدِ أَوْ البَيَانِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.
2. كَمَالُ الِانْقِطَاعِ:
   a. وَهُوَ عِنْدَ اخْتِلَافِ الجِنْسِ، نَحْوُ: "عَلِيٌّ كَاتِبٌ، الحَمَامُ طَائِرٌ".
3. شِبْهُ كَمَالُ الِاتِّصَالِ: لِكَوْنِ الثَّانِيَةِ جَوَابًا نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ...﴾.

البَابُ الثَّامِنُ: الإِيجَازُ، وَالإِطْنَابُ، وَالمُسَاوَاةُ

المُسَاوَاةُ:

هِيَ تَعَادُلُ اللَّفْظِ وَالمَعْنَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}؛ فَقَدْ أُتِيَ بِالكَلَامِ الَّذِي يُسَاوِي لَفْظُه بِمَعْنَاهُ.

الإِيجَازُ:

هُوَ تَقْلِيلُ اللَّفْظِ مَعَ وَفَاءِ المَعْنَى، وَهُوَ نَوْعَانِ:

1. إِيجَازُ قِصَرٍ، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى: {وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ}.
2. إِيجَازُ حَذْفٍ، نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

أَيْ ابْنُ رَجُلٍ جَلَا أَيْ ظَهَرَ.

3. الإِطْنَابُ:

هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ لِفَائِدَةٍ، مِنْهَا:

1. تَوْضِيحُ المُرَادِ بَعْدَ إِبْهَامِهِ، كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي}؛ حَيْثُ جَاءَ لَفْظُ {اشْرَحْ} مُبْهَمًا لَا يُعْرَفُ مُتَعَلَّقُهُ، ثُمَّ زَالَ هَذَا الإِبْهَامُ وَتَبَيَّنَ بِذِكْرِ {صَدْرِي}.
2. التَّخْصِيصُ بَعْدَ العُمُومِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَىٰ).
3. التَّكْرَارُ لِلتَّهْوِيلِ، {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}.

الفَنُّ الثَّانِي؛ عِلْمُ البَيَانِ

هُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ صِيَاغَةِ المَعْنَى الوَاحِدِ بِأَسَالِيبَ شَتَّى، تَتَفَاوَتُ فِي وُضُوحِ دَلَالَتِهَا العَقْلِيَّةِ عَلَيْهِ.

يَنْحَصِرُ هَذَا الفَنُّ فِي ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ:

1. التَّشْبِيهُ
2. المَجَازُ
3. الكِنَايَةُ

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: التَّشْبِيهُ

وَيَنْتَظِمُ البَحْثُ فِيهِ فِي ثَلَاثِ مَسَائِلَ:

1. حَقِيقَةُ التَّشْبِيهِ.
2. أَرْكَانُ التَّشْبِيهِ.
3. أَقْسَامُ التَّشْبِيهِ.

التَّشْبِيهُ

التَّشْبِيهُ فِي اللُّغَةِ: التَّمْثِيلُ؛ وَهُوَ أَنْ يَشْتَرِكَ أَمْرَانِ فِي صِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ.

وَفِي الِاصْطِلَاحِ: هُوَ إِثْبَاتُ مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ آخَرَ فِي وَصْفٍ مَوْجُودٍ فِيهِمَا، بِاسْتِعْمَالِ أَدَاةٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ مَقْدُورَةٍ، نَحْوُ: زَيْدٌ كَالأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.

أَرْكَانُ التَّشْبِيهِ

لِلتَّشْبِيهِ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ تَقُومُ عَلَيْهَا بِنْيَتُهُ:

1. المُشَبَّهُ: وَهُوَ الذَّاتُ الَّتِي نَقْصِدُ وَصْفَهَا بِالتَّمْثِيلِ.
2. المُشَبَّهُ بِهِ: وَهُوَ الأَمْرُ الَّذِي نُلْحِقُ بِهِ المُشَبَّهَ، وَيَكُونُ الوَصْفُ فِيهِ أَقْوَى تَمَكُّنًا.
3. أَدَاةُ التَّشْبِيهِ: وَهِيَ اللَّفْظُ الرَّابِطُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ كَالْكَافِ وَكَأَنَّ.
4. وَجْهُ الشَّبَهِ: وَهُوَ الصِّفَةُ المَعْنَوِيَّةُ الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَ المُشَبَّهِ وَالمُشَبَّهِ بِهِ.

فَفِي قَوْلِنَا: (خَالِدٌ كَالأَسَدِ)؛ يَكُونُ "خَالِدٌ" المُشَبَّهَ، وَ"الكَافُ" أَدَاتَهُ، وَ"الأَسَدُ" المُشَبَّهَ بِهِ، أَمَّا وَجْهُ الشَّبَهِ فَهُوَ "الشَّجَاعَةُ" وَقَدْ جَاءَ مَطْوِيًّا فِي الكَلَامِ.

تَقْسِيمُ طَرَفَيِ التَّشْبِيهِ بِاعْتِبَارِ الحِسِّ وَالعَقْلِ:

يَنْقَسِمُ التَّشْبِيهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ تَبَعًا لِإِدْرَاكِهِمَا بِالحَوَاسِّ أَوْ البَصِيرَةِ:

1. أَنْ يَكُونَا حِسِّيَّيْنِ: مِثْلُ: خَدُّهُ كَالْوَرْدِ فِي اللَّوْنِ؛ لِكَوْنِ الطَّرَفَيْنِ مِمَّا يُبْصَرُ.
2. أَنْ يَكُونَا عَقْلِيَّيْنِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ}؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ مِمَّا يُدْرَكُ بِالفَهْمِ لَا بِاللَّمْسِ.

3. أَنْ يَكُونَ المُشَبَّهُ حِسِّيًّا وَالمُشَبَّهُ بِهِ عَقْلِيًّا: نَحْوُ: (العِطْرُ كَخُلُقٍ كَرِيمٍ)؛ فَالرَّائِحَةُ تُشَمُّ، وَالخُلُقُ يُعْقَلُ.
4. أَنْ يَكُونَ المُشَبَّهُ عَقْلِيًّا وَالمُشَبَّهُ بِهِ حِسِّيًّا: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ}؛ فَالنُّورُ الإِلَهِيُّ أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ شُبِّهَ بِالمِشْكَاةِ الظَّاهِرَةِ لِلْعَيْنِ.

تَقْسِيمُ التَّشْبِيهِ بِاعْتِبَارِ الإِفْرَادِ وَالتَّرْكِيبِ

يَنْقَسِمُ التَّشْبِيهُ بِاعْتِبَارِ بِنْيَةِ طَرَفَيْهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ:

1. تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا}.
2. تَشْبِيهُ مُرَكَّبٍ بِمُرَكَّبٍ، وَهُوَ مَا انْتُزِعَتْ فِيهِ الهَيْئَةُ مِن مُتَعَدِّدٍ، مِثْلُ: (العَالِمُ بَيْنَ الجُهَّالِ كَالْقَمَرِ بَيْنَ النُّجُومِ).
3. تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُرَكَّبٍ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: {الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}.
4. تَشْبِيهُ مُرَكَّبٍ بِمُفْرَدٍ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ}.

المَبْحَثُ الثَّانِي: المَجَازُ

يَشْتَمِلُ هَذَا الفَصْلُ عَلَى أَمْرَيْنِ:

1. حَدُّ المَجَازِ
2. أَقْسَامُ المَجَازِ

تَعْرِيفُ المَجَازِ

هُوَ اللَّفْظُ الَّذِي نُقِلَ عَنْ مَعْنَاهُ الأَصْلِيِّ المَوْضُوعِ لَهُ لِيُسْتَعْمَلَ فِي مَعْنًى آخَرَ؛ لِعَلَاقَةٍ بَيْنَهُمَا، مَعَ وُجُودِ قَرِينَةٍ تَمْنَعُ العَقْلَ مِنْ حَمْلِ اللَّفْظِ عَلَى مَعْنَاهُ الحَقِيقِيِّ.

مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم}؛ فَـ (الأَصَابِعُ) هُنَا أُرِيدَ بِهَا الأَنَامِلُ، إِذْ يَسْتَحِيلُ جَعْلُ كَامِلِ الإِصْبَعِ فِي الأُذُنِ، وَهَذِهِ الِاسْتِحَالَةُ هِيَ القَرِينَةُ الصَّارِفَةُ عَنْ مَعْنَاهُ الأَصْلِيِّ.

تَقْسِيمُ المَجَازِ بِاعْتِبَارِ العَلَاقَةِ

يَنْشَطِرُ المَجَازُ تَبَعًا لِطَبِيعَةِ الصِّلَةِ الرَّابِطَةِ بَيْنَ حَقِيقَةِ اللَّفْظِ وَمَعْنَاهُ المُنْتَقَلِ إِلَيْهِ إِلَى ضَرْبَيْنِ:

1. الاسْتِعَارَةُ
2. المَجَازُ المُرْسَلُ

الِاسْتِعَارَةُ:

هِيَ مَا كَانَتِ العَلَاقَةُ فِيهِ قَائِمَةً عَلَى المُشَابَهَةِ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ بِدُونِ ذِكْرِ أَحَدِ أَرْكَانِ التَّشْبِيهِ؛ فَهِيَ فِي جَوْهَرِهَا تَشْبِيهٌ طُوِيَ ذِكْرُ أَحَدِ أَرْكَانِه. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ). اسْتُعْمِلَ لَفْظَا "الظُّلُمَاتِ" وَ"النُّورِ" لِإِرَادَةِ (الكُفْرِ) وَ(الإِيمَانِ)؛ لِأَنَّ الكُفْرَ يَشْبَهُ الظُّلْمَةَ فِي الحَيْرَةِ وَالضَّلَالِ، بَيْنَمَا يَشْتَرِكُ الإِيمَانُ مَعَ الضِّيَاءِ فِي وُضُوحِ السَّبِيلِ.

المَجَازُ المُرْسَلُ:

هُوَ مَا كَانَتِ العَلَاقَةُ فِيهِ مَبْنِيَّةً عَلَى غَيْرِ المُشَابَهَةِ، وَلَهُ رَوَابِطُ كَثِيرَةٌ كَالسَّبَبِيَّةِ وَالمَحَلِّيَّةِ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ: كَثُرَتْ أَيَادِي فُلَانٍ عَلَيَّ. فَإِنَّ القَائِلَ لَمْ يَرِدْ الأَعْضَاءَ الحِسِّيَّةَ، بَلْ كَنَّى بِهَا عَنِ العَطَايَا؛ لِأَنَّ اليَدَ هِيَ الآلَةُ الَّتِي تَبْسُطُ النِّعْمَةَ، فَالعَلَاقَةُ هُنَا سَبَبِيَّةٌ لَا مُشَابَهَةٌ.

فَائِدَةٌ:

لَا يَقُومُ المَجَازُ إِلَّا عَلَى عَلَاقَةٍ رَابِطَةٍ، وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ البَيَانِ تَبْلُغُ سِتًّا وَعِشْرِينَ، مِنْهَا السَّبَبِيَّةُ وَالمُلَازَمَةُ وَغَيْرُهُمَا.

العَلَاقَةُ السَّبَبِيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ السَّبَبِ وَيُقْصِدُ بِهِ المُسَبَّبَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا}، فَالرِّزْقُ هُنَا يُرَادُ بِهِ المَطَرُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ النَّمَاءِ وَالعَيْشِ.

العَلَاقَةُ المُسَبَّبِيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ المُسَبَّبِ وَيُرَادُ بِهِ السَّبَبُ؛ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا}، حَيْثُ جَاءَ لَفْظُ النَّارِ كِنَايَةً عَنِ المَالِ الحَرَامِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ دُخُولِهَا.

العَلَاقَةُ الجُزْئِيَّةُ:

وَهِيَ إِطْلَاقُ الجُزْءِ وَإِرَادَةُ الكُلِّ؛ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ}، فَذِكْرُ الرَّقَبَةِ وَهِيَ عُضْوٌ يُرَادُ بِهِ عِتْقُ النَّسَمَةِ بِأَكْمَلِهَا.

العَلَاقَةُ الكُلِّيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ الكُلِّ وَإِرَادَةُ الجُزْءِ اليَسِيرِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم}، فَالإِنْسَانُ لَا يَغْرِسُ كَامِلَ أُصْبُعِهِ بَلْ طَرَفَ أَنْمُلَتِهِ فَقَطْ.

اعْتِبَارُ مَا كَانَ:

وَهِيَ وَصْفُ الشَّيْءِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي مَاضِيهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ}، فَالخِطَابُ لِلرَّاشِدِينَ الَّذِينَ زَالَ عَنْهُمُ اليُتْمُ، لَكِنَّهُمْ سُمُّوا بِذَلِكَ بِاعْتِبَارِ حَالِهِمُ السَّابِقِ.

اعْتِبَارُ مَا سَيَكُونُ:

وَهِيَ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِمَا سَيَصِيرُ إِلَيْهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا}، وَالمَعْصُورُ حَقِيقَةً هُوَ العِنَبُ الَّذِي سَيُحَوَّلُ إِلَى خَمْرٍ لَاحِقًا.

العَلَاقَةُ المَحَلِّيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ المَحَلِّ وَإِرَادَةُ الحَالِّ فِيهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}، أَيْ لِيَسْتَنْصِرْ بِأَهْلِ مَجْلِسِهِ وَعَشِيرَتِهِ لِأَنَّ النَّادِيَ لَيْسَ مِمَّا يُدْعَى لِكَوْنِهِ لَا يَعْقِلُ.

العَلَاقَةُ الحَالِيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ مَا يَحُلُّ فِي المَكَانِ وَالقَصْدُ المَكَانُ نَفْسُهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}، فَالنَّعِيمُ صِفَةٌ حَالَّةٌ فِي الجَنَّةِ الَّتِي هِيَ المُسْتَقَرُّ الحَقِيقِيُّ.

العَلَاقَةُ الآلِيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ الآلَةِ وَالمُرَادُ بِهَا الأَثَرُ الصَّادِرُ عَنْهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ}، حَيْثُ اسْتُعْمِلَ لَفْظُ اللِّسَانِ لِإِرَادَةِ الثَّنَاءِ الحَسَنِ الَّذِي يُنْطَقُ بِاللِّسَانِ.

عَلَاقَةُ المُجَاوَرَةِ:

وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ لِإِرَادَةِ مَا يُجَانِبُهُ؛ كَقَوْلِهِمْ: "عَلَّقْتُ كِنَانَتِي"، وَالمُرَادُ السِّهَامُ الَّتِي تُجَاوِرُ الكِنَانَةَ وَتَسْكُنُ فِيهَا.

العَلَاقَةُ الفَاعِلِيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ لَفْظِ الفَاعِلِ وَالقَصْدُ هُوَ المَفْعُولُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ}، فَالْعِيشَةُ لَا تَرْضَى نَفْسُهَا، بَلْ هِيَ مَرْضِيٌّ عَنْهَا مِنْ صَاحِبِهَا.

العَلَاقَةُ المَفْعُولِيَّةُ:

وَهِيَ نُطْقُ لَفْظِ المَفْعُولِ وَالقَصْدُ الفَاعِلُ نَفْسُهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {حِجَابًا مَّسْتُورًا}، فَالْحِجَابُ هُوَ الَّذِي يَسْتُرُ السَّاتِرُ، فَهُوَ سَاتِرٌ لِلْمَحْجُوبِ.

العَلَاقَةُ الزَّمَانِيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ لَفْظِ الزَّمَانِ وَالقَصْدُ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الأَحْدَاثِ؛ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: "أَعْوَامُ وَصْلٍ مَشَتْ بِنَا كَثَوَانِي"، فَالزَّمَانُ لَا يَمْشِي حَقِيقَةً بَلِ الَّذِي انْقَضَى هُوَ أَيَّامُ اللِّقَاءِ فِيهِ.

العَلَاقَةُ المَكَانِيَّةُ:

وَهِيَ ذِكْرُ لَفْظِ المَكَانِ وَيُرَادُ بِهِ الجَارِي فِيهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي}، فَالْأَنْهَارُ هِيَ مَجَارِيُ المَاءِ الثَّابِتَةُ، وَالمَاءُ دَاخِلَهَا هُوَ الَّذِي يَجْرِي.

العَلَاقَةُ المَصْدَرِيَّةُ:

وَهِيَ إِطْلَاقُ المَصْدَرِ وَإِرَادَةُ اسْمِ المَفْعُولِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {هٰذَا خَلْقُ اللهِ}، فَالْخَلْقُ هُنَا مَصْدَرٌ، وَالمُرَادُ بِهِ الذَّاتُ المَخْلُوقَةُ المَوْجُودَةُ أَمَامَهُمْ.

عَلَاقَةُ المُلَازَمَةِ:

وَهِيَ ذِكْرُ اللَّفْظِ لِأَنَّهُ لَازِمٌ لِشَيْءٍ آخَرَ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ؛ كَقَوْلِهِمْ: "طَلَعَ الضَّوْءُ"، فَالضَّوْءُ لَا يَطْلُعُ بِنَفْسِهِ، بَلِ الَّذِي يَطْلُعُ هُوَ الشَّمْسُ الَّتِي يُلَازِمُهَا هَذَا الضَّوْءُ.

عَلَاقَةُ البَدَلِيَّةِ:

وَهِيَ ذِكْرُ لَفْظِ البَدَلِ وَالقَصْدُ هُوَ المُبْدَلُ مِنْهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ}، فَالْقَضَاءُ بَدَلٌ عَنِ الأَدَاءِ (لِمَنْ فَاتَتْهُ)، لَكِنَّ المُرَادَ هُنَا أَدَاءُ الصَّلَاةِ فِي حَالِ حُضُورِ وَقْتِهَا.

عَلَاقَةُ المُبْدَلِيَّةِ:

وَهِيَ ذِكْرُ لَفْظِ المُبْدَلِ مِنْهُ وَالقَصْدُ هُوَ البَدَلُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ}. فَالْقُرْآنُ لَيْسَ الصَّلَاةَ كُلَّهَا، بَلْ هِيَ مُبْدَلَةٌ مِنْهُ لِكَوْنِ القِرَاءَةِ أَعْظَمَ جُزْءٍ فِيهَا.

عَلَاقَةُ العُمُومِ:

وَهِيَ ذِكْرُ اللَّفْظِ العَامِّ وَالقَصْدُ شَخْصٌ خَاصٌّ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ}. فَلَفْظُ النَّاسِ عَامٌّ، لَكِنَّ المَقْصُودَ بِالحَسَدِ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ بِمُفْرَدِهِ.

عَلَاقَةُ الخُصُوصِ:

وَهِيَ نُطْقُ اللَّفْظِ الخَاصِّ لِإِرَادَةِ المَعْنَى العَامِّ شَرَفًا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}. فَالْكَوْثَرُ نَهْرٌ خَاصٌّ فِي الجَنَّةِ، لَكِنَّهُ يُرَادُ بِهِ الخَيْرُ الكَثِيرُ العَامُّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

عَلَاقَةُ التَّعْلِيلِ:

وَهِيَ تَعْلِيقُ الحُكْمِ بِمَا هُوَ عِلَّةٌ لَهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ}. فَالشَّهْرُ زَمَانٌ لَا يُشْهَدُ، لَكِنَّ الَّذِي يُشْهَدُ هُوَ هِلَالُهُ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ وَعِلَّةٌ لِدُخُولِهِ.

عَلَاقَةُ الغَائِيَّةِ:

وَهِيَ تَسْمِيَةُ السَّبَبِ بِاسْمِ الغَايَةِ الَّتِي سَيَصِيرُ إِلَيْهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا}. فَالِالْتِقَاطُ لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الغَرَضِ، لَكِنَّهُ سُمِّيَ بِهِ بِاعْتِبَارِ غَايَتِهِ وَمَصِيرِهِ.

عَلَاقَةُ المَقْرُونِيَّةِ:

وَهِيَ ذِكْرُ أَحَدِ المُقْتَرِنَيْنِ لِإِرَادَةِ الآخَرِ الَّذِي يُصَاحِبُهُ؛ كَقَوْلِهِمْ: "رَعَتِ المَاشِيَةُ المَطَرَ"، فَالْمَاشِيَةُ لَا تَأْكُلُ المَطَرَ بَلْ تَأْكُلُ النَّبَاتَ الَّذِي يَقْتَرِنُ وُجُودُهُ بِنُزُولِهِ.

عَلَاقَةُ الضِّدِّيَّةِ:

وَهِيَ ذِكْرُ اللَّفْظِ وَالقَصْدُ ضِدَّهُ تَمَامًا اسْتِهْزَاءً؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}، فَالْبِشَارَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَا يَسُرُّ، لَكِنَّهَا اسْتُعْمِلَتْ هُنَا فِي العَذَابِ تَهَكُّمًا بِهِمْ.

عَلَاقَةُ التَّقْيِيدِ:

وَهِيَ إِطْلَاقُ اللَّفْظِ المُقَيَّدِ بِوَصْفٍ وَالقَصْدُ هُوَ المَعْنَى المُطْلَقُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم}، فَقَدْ قُيِّدَ تَحْرِيمُ بَنَاتِ الزَّوْجَاتِ بِكَوْنِهِنَّ فِي الحُجُورِ، لَكِنَّهُ اسْتُعْمِلَ لِإِرَادَةِ مُطْلَقِ التَّحْرِيمِ سَوَاءٌ تَرَبَّيْنَ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي غَيْرِهِ.

عَلَاقَةُ الإِطْلَاقِ:

وَهِيَ ذِكْرُ اللَّفْظِ المُطْلَقِ وَالقَصْدُ المُقَيَّدُ مِنْهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا}، فَالْيَدُ لَفْظٌ مُطْلَقٌ يَشْمَلُ العُضْوَ كَامِلًا، لَكِنَّ المَقْصُودَ شَرْعًا هُوَ اليَدُ المُقَيَّدَةُ إِلَى الرُّسْغِ فَقَطْ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الكِنَايَةُ

وَيَشْتَمِلُ المَقَامُ فِيهَا عَلَى مَسْأَلَتَيْنِ:

1. حَقِيقَةُ الكِنَايَةِ
2. أَقْسَامُ الكِنَايَةِ

تَعْرِيفُ الكِنَايَةِ

هِيَ لَفْظٌ يُرَادُ بِهِ لَازِمُ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ بَقَاءِ المَعْنَى الأَصْلِيِّ مَقْصُودًا فِي نَفْسِ الوَقْتِ، نَحْوُ: فُلَانٌ طَوِيلُ النِّجَادِ؛ حَيْثُ كُنِّيَ بِطُولِ حِمَالَةِ السَّيْفِ عَنْ طُولِ قَامَةِ صَاحِبِهِ.

أَقْسَامُ الكِنَايَةِ

تَتَنَوَّعُ الكِنَايَةُ بِحَسَبِ جَلَاءِ الوَسَائِطِ الذِّهْنِيَّةِ إِلَى مَرَاتِبَ، مِنْهَا:

التَّلْوِيحُ:

وَهُوَ مَا كَثُرَتْ فِيهِ الرَّوَابِطُ؛ كَقَوْلِهِمْ: "فُلَانٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ"، فَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ السَّخَاءِ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ يَلْزَمُ مِنْهَا إِيقَادُ النَّارِ، ثُمَّ كَثْرَةُ الطَّبْخِ، ثُمَّ كَثْرَةُ الأَضْيَافِ.

الرَّمْزُ:

وَهُوَ مَا قَلَّتْ وَسَائِطُهُ مَعَ خَفَاءٍ يَسِيرٍ؛ كَقَوْلِهِمْ: "هُوَ سَمِينٌ رَخْوٌ"، فَالرَّخَاوَةُ مَعَ السِّمَنِ كِنَايَةٌ عَنِ البَلَادَةِ وَقِلَّةِ الفَهْمِ لِارْتِبَاطِهَا المَعْنَوِيِّ بِالخُمُولِ.

الإِيمَاءُ:

وَهِيَ مَا قَلَّتْ وَسَائِطُهُ مَعَ وُضُوحٍ تَامٍّ بِلَا خَفَاءٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي صِفَةِ النَّادِمِينَ: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ}، فَعَضُّ اليَدَيْنِ كِنَايَةٌ وَاضِحَةٌ عَنِ النَّدَمِ وَالحَسْرَةِ بِلَا وَسَائِطَ خَفِيَّةٍ.

التَّعْرِيضُ:

وَهِيَ سَوْقُ الكَلَامِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى حَالِ مَنْ لَمْ يُسَمَّ فِي اللَّفْظِ صَرَاحَةً؛ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُؤْذِي غَيْرَهُ: "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"، تَعْرِيضًا بِهِ لِتَنْبِيهِهِ عَلَى قُبْحِ فِعْلِهِ دُونَ تَصْرِيحٍ بِاسْمِهِ.

الفَنُّ الثَّالِثُ عِلْمُ البَدِيعِ

هُوَ عِلْمٌ يَبْحَثُ فِي طُرُقِ تَزْيِينِ الكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ، بَعْدَ تَحَقُّقِ شَرْطِ فَصَاحَتِهِ وَمُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الحَالِ.

أَقْسَامُ عِلْمِ البَدِيعِ:

تَنْشَطِرُ وُجُوهُ التَّحْسِينِ فِي هَذَا الفَنِّ إِلَى ضَرْبَيْنِ:

1. المُحَسِّنَاتُ المَعْنَوِيَّةُ: وَهِيَ الَّتِي يَعُودُ فِيهَا حُسْنُ الكَلَامِ إِلَى ذَاتِ المَعْنَى أَوَّلًا.
2. المُحَسِّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ: وَهِيَ الَّتِي يَعُودُ فِيهَا جَمَالُ الكَلَامِ إِلَى صِيغَةِ اللَّفْظِ أَصَالَةً.

المُحَسِّنَاتُ المَعْنَوِيَّةُ

1. الطِّبَاقُ:

وَهُوَ التَّقَابُلُ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، وَيَقَعُ فِي أَنْوَاعِ الكَلِمِ:

- الأَسْمَاءُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ}؛ حَيْثُ تَقَابَلَ لَفْظَا "أَيْقَاظًا" وَ"رُقُودٌ".
- الأَفْعَالُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يُحْيِي وَيُمِيتُ}؛ فَالْفِعْلُ الأَوَّلُ ضِدُّ الثَّانِي.
- الحُرُوفُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}؛ فَـ (اللَّامُ) لِلنَّفْعِ وَ(عَلَى) لِلضَّرَرِ.

2. مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ:

وَهِيَ تَنْسِيقُ أُمُورٍ بَيْنَهَا صِلَةُ تَنَاسُبٍ لَا تَضَادَّ فِيهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}، لِاجْتِمَاعِ الكَوْكَبَيْنِ فِي بَابٍ وَاحِدٍ.

- وَمِنْهُ تَشَابُهُ الأَطْرَافِ: وَهُوَ رَبْطُ خَاتِمَةِ الآيِ بِمَا يُلَائِمُ صَدْرَهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}؛ فَالمَعْنَى أَنَّهُ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ لِأَنَّهُ لَطِيفٌ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ لِأَنَّهُ خَبِيرٌ.

3. الإِرْصَادُ:

وَهُوَ التَّمْهِيدُ لِقَافِيَةِ الكَلَامِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا قَبْلَ ذِكْرِهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، فَاللَّفْظُ "لِيَظْلِمَهُمْ" أَشْعَرَ السَّامِعَ بِخِتَامِ الفِقْرَةِ وَهُوَ "يَظْلِمُونَ"س.

4. صُنْعَةُ العَكْسِ:

وَهِيَ تَبْدِيلُ مَوَاقِعِ الكَلِمِ فِي جُمْلَتَيْنِ مُتَعَاقِبَتَيْنِ، وَلَهَا طَرِيقَانِ:

- فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ: نَحْوُ قَوْلِهِمْ: (عَادَةُ السَّادَاتِ سَادَاتُ العَادَاتِ).
- بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ}.

5. التَّوْرِيَةُ:

وَهِيَ إِيرَادُ لَفْظٍ لَهُ جِهَتَانِ: قَرِيبَةٌ ظَاهِرَةٌ لَا تُقْصَدُ، وَبَعِيدَةٌ خَفِيَّةٌ هِيَ المُرَادَةُ؛ وَهِيَ صِنْفَانِ:

- مُجَرَّدَةٌ: وَهِيَ مَا خَلَتْ مِنْ لَوَازِمِ المَعْنَى القَرِيبِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}؛ فَالْمَعْنَى الظَّاهِرُ هُوَ الجُلُوسُ وَهُوَ غَيْرُ مَقْصُودٍ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ وَعَلَا وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ المَعْنَى البَعِيدُ وَهُوَ الغَلَبَةُ.
- مُرَشَّحَةٌ: وَهِيَ مَا قُرِنَتْ بِمَا يُلَائِمُ المَعْنَى القَرِيبَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، فَإِنَّ ذِكْرَ "البِنَاءِ" قَرَّبَ لَفْظَ "الأَيْدِي" لِلْمَعْنَى المُتَبَادِرِ وَهُوَ الكَفُّ مَعَ أَنَّ المُرَادَ هُنَا هُوَ القُوَّةُ.

6. اللَّفُّ وَالنَّشْرُ:

وَهُوَ جَمْعُ أَشْيَاءَ مُتَعَدِّدَةٍ ثُمَّ تَفْصِيلُ أَحْكَامِهَا تِبَاعًا؛ وَهُوَ نَوْعَانِ:

- مُرَتَّبٌ: حِينَ يُسَاقُ التَّفْصِيلُ عَلَى نَسَقِ الإِجْمَالِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ}.
- غَيْرُ مُرَتَّبٍ: حِينَ يُخَالِفُ التَّفْصِيلُ تَرْتِيبَ المَذْكُورَاتِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ...}.

7. جَمْعٌ:

وَهُوَ تَوْحِيدُ الحُكْمِ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.

8. التَّوْجِيهُ:

وَهُوَ بِنَاءُ القَوْلِ عَلَى وَجْهَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ مَدْحًا وَذَمًّا؛ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي خَيَّاطٍ أَعْوَرَ:

خَاطَ لِي عَمْرٌو قَبَاءً ... لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءُ

فَكَلِمَةُ "سَوَاءُ" تَحْمِلُ دُعَاءً لَهُ بِالشِّفَاءِ لِمَهَارَتِهِ فِي الخِيَاطَةِ رُغْمَ العَوَرِ، كَمَا تَحْتَمِلُ دُعَاءً عَلَيْهِ بِالعَمَى لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الخِيَاطَةِ.

9. التَّجَاهُلُ العَارِفُ:

وَهُوَ اسْتِخْبَارُ المَرْءِ عَمَّا يَعْلَمُهُ إِظْهَارًا لِلذُّهُولِ لِمَقْصِدٍ بَلَاغِيٍّ؛ كَمَا فِي:

- التَّوْبِيخُ: كَقَوْلِ لَيْلَى بِنْتِ طَرِيفٍ:

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا ... كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

تَجَاهَلَتْ الشَّاعِرَةُ طَبِيعَةَ الشَّجَرِ مُوَبِّخَةً إِيَّاهُ لِعَدَمِ ظُهُورِ أَثَرِ الحُزْنِ عَلَيْهِ.

- المَدْحُ: كَقَوْلِ البُحْتُرِيِّ:

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ ... أَمِ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي

أَنْكَرَ الشَّاعِرُ مَعْرِفَتَهُ بِبَسْمَةِ مَحْبُوبَتِهِ لِتَعْظِيمِ شَأْنِ نُورِهَا.

المُحَسِّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ

1. الجِنَاسُ:

وَهُوَ اتِّفَاقُ اللَّفْظَيْنِ فِي الهَيْئَةِ مَعَ تَبَايُنِ المَعْنَى؛ وَيَنْقَسِمُ إِلَى:

- تَامٌّ: وَهُوَ التَّطَابُقُ الكُلِّيُّ فِي الحُرُوفِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ}؛ فَـ"السَّاعَةُ" الأُولَى هِيَ يَوْمُ القِيَامَةِ وَالثَّانِيَةُ هِيَ جُزْءُ الوَقْتِ.
- نَاقِصٌ: وَهُوَ الِاخْتِلَافُ فِي بَعْضِ بِنْيَةِ اللَّفْظِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}؛ فَالقَهْرُ وَالنَّهْرُ مُتَقَارِبَانِ لَفْظًا.

2. رَدُّ العُجُزِ عَلَى الصَّدْرِ:

وَهُوَ ذِكْرُ لَفْظٍ فِي أَوَّلِ الكَلَامِ ثُمَّ إِعَادَتُهُ فِي نِهَايَتِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {...وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ}.

3. السَّجْعُ:

وَهُوَ تَشَاكُلُ الكَلِمَاتِ فِي الحَرْفِ الأَخِيرِ؛ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} ومِنْهُ مَا فِي خُطْبَةِ قِسِّ بْنِ سَاعِدَةَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعُوا، مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.

4. المُوَازَنَةُ:

وَهِيَ تَعَادُلُ الكَلِمَاتِ فِي الوَزْنِ الصَّرْفِيِّ دُونَ القَافِيَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} فَـ"المُسْتَبِينُ" وَ"المُسْتَقِيمُ" مُتَعَادِلَانِ فِي الوَزْنِ الصَّرْفِيِّ دُونَ القَافِيَةِ.

5. القَلْبُ:

وَهُوَ صِيَاغَةُ اللَّفْظِ بِحَيْثُ لَا يَتَغَيَّرُ نُطْقُهُ إِنْ قُرِئَ مَعْكُوسًا؛ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ ... وَهَلْ كُلٌّ مَوَدَّتِهِ تَدُومُ

6. العَكْسُ اللَّفْظِيُّ:

وَهُوَ تَقْدِيمُ الكَلِمَةِ ثُمَّ تَأْخِيرُهَا فِي الجُمْلَةِ التَّالِيَةِ؛ نَحْوُ قَوْلِهِمْ: طَعَامُ الكِرَامِ كِرَامُ الطَّعَامِ.

7. التَّشْرِيعُ:

وَهُوَ أَنْ يُبْنَى البَيْتُ الشِّعْرِيُّ عَلَى قَافِيَتَيْنِ صَحِيحَتَيْنِ، بِحَيْثُ يَسْتَقِيمُ الوَزْنُ وَالمَعْنَى عِنْدَ الوُقُوفِ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا؛ كَقَوْلِ الحَرِيرِيِّ:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ

وَضَعَ الشَّاعِرُ هٰذَا النَّظْمَ ذَا قَافِيَتَيْنِ؛ فَإِذَا اقْتَصَرْتَ عَلَى لَفْظِ "الرَّدَى" وَقُلْتَ:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ ... إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى

كَانَ البَيْتُ مُكْتَمِلَ السَّبْكِ. وَإِذَا أَتْمَمْتَ إِلَى "الأَكْدَارِ" وَقُلْتَ:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ

ظَلَّ مُحَافِظًا عَلَى بَهَائِهِ وَرَوْنَقِهِ.